التأويلات الباطنية م

■ أ. د. ناصر القفاري

n0380@hotmail.com

@prof_algefari

التقيت أحد أعلام العراق من أصحاب التخصصات العلمية الدنيوية الدقيقة، وهو الأستاذ «علاء الدين البصير» بالحرم المكي بعد صلاة التراويح في رمضان عام ١٤٣٥هـ، وذكر لي أنه كان شيعيًا يظن أن هذه النحلة هي الحق، ثم تبين له الأمر، وانكشف له المستور، وذكر لي أن من أسباب عودته إلى الحق قراءته لكتابي «مسألة التقريب»، وبالذات ما يتعلق بالتأويلات الباطنية عند الشيعة، وقال لي: بعد قراءتي لهذه التأويلات التي لا تربطها أدنى رابطة لا بالمعنى اللغوي، ولا بالمفهوم، ولا بالسياق؛ قلت في نفسي: إذا ثبت أن هذه التأويلات موجودة في مصادرنا الشيعية كما يذكر صاحب «التقريب» فإن ذلك يكفي دليلًا على بطلان مذهبنا، وأعانني على هذا الفهم أنني صاحب تخصص علمي منهجي يزن الأقوال بميزان دقيق.

وقال: حينها بدأت بجمع مكتبة شيعية تضم المصادر الأساسية، ثم قمت بمقابلة النصوص ومراجعها المثبتة في التقريب مع المصادر الشيعية التي تمت الإحالة إليها، فوجدت النتيجة صحة المقابلة، وسلامة التوثيق، وحينئذ أيقنت بأننا على ضلال، وخرجت من المذهب، ومنَّ الله عليَّ باعتناق السنة، وكان ذلك قبل تسع عشرة سنة، وجنَّدت نفسي بعدها لفضح هذه النحلة وكشف حقيقتها، وقد صنفت في هذا الباب نحو خمسين كتابًا، نشر منها تسعة.

أقدم بهذه الواقعة[1] بين يدي هذه الدراسة التي تتناول التأويلات الباطنية عند الرافضة، وأنها أحد المعالم الكبرى لمعرفة زيف هذا المذهب وبطلانه.

(*) أعني بالشيعة هنا: طائفة الإثنى عشرية التي تلقب في عصرنا بالشيعة، ومصادرها هي عمدتنا في تحرير هذا البحث.

(١) ولها وقائع مشابهة كثيرة، ولذلك ينبغي أن تكون مصادرهم الفاضحة أحد منطلقات دعوتهم إلى الحق.

ـــــن فضائح الشيعة الكبرى(*)

شـاع التأويل الباطنـي في كتب الرافضـة وأصبح من أصـول دينهم التي يقوم عليهـا كيانهم العقدي؛ لأنه لا بقاء لمذهبهـم إلا بـه، ولا يسـتقيم لهم دليل إلا بهـذا التحريف الذي يسمونه تأويلًا، ولهذا عقد صاحب «البحار» بابًا لهذا بعنـوان: «بـاب أن للقرآن ظهرًا وبطنًا»، وقـد ذكر في هذا الباب ٨٤ رواية[١]، وفي «تفسـير البرهان» عقد بابًا مماثلًا لما في البحار بعنوان: «باب في أن القرآن له ظهر وبطن»[٢].

وجـاء في مصادرهم عن جابر الجعفي[٣] قال: «سـألت أبا جعفر عن شـيء من تفسـير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسـألة بجواب غير هذا قبـل اليوم؟ فقال لي: يا جابـر: إن للقرآن بطنًا، وللبطن بطنًا وظهرًا، وللظهر ظهرًا، يا جابر، وليس شـيء أبعـد من عقول الرجال من تفسـير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»[٤].

وتؤصـل مصادرهـم لهذا المنهج الباطنـي بلغة الأرقام، فتبلغ به ما يزيد عن سبعين بطنًا! يقولون: «لكل آية من كلام اللـه ظهر وبطن، بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار المسـتفيضة سبعة وسـبعون بطنًا»[٥]. وتأتي بعض رواياتهم لتقـول: «نزل القـرآن على أربعة أرباع: ربـع فينا، وربع في عدونـا، وربع سـنن وأمثال، وربع في فرائـض وأحكام»[٦].. وهكـذا يقسـمون القرآن وفق ما تهوى أنفسـهم، وما تمليه عليهم شياطينهم. ويرى بعض الباحثين[٧] أن أول كتاب وضع الأساس الشيعي في التفسير هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة جابر الجعفي (ت ١٢٨هـ)[٨]، فكان هذا نواة لتفسير شيعي سرعان ما اتسع وأغرق في باطنيته.

وهذه التأويلات مدونة في تفاسـيرهم المعتبرة عندهم كتفسـير «القمي»، و«العياشـي»، و«البرهـان»، و«الصافي»، كمـا أن كتبهـم المعتمدة فـي الحديث قد أخـذت من تلكم التأويـلات بقسـط وافر، وعلى رأسـها: «أصـول الكافي» للكلينـي، و«البحـار» للمجلسـي وغيرهمـا، وعـرض هذه التأويلات يسـتغرق مجلـدات، ويكفي أن تعرف أن كل آيات القـرآن يفسـرونها إما بالأئمة وشـيعتهم، أو بأعداء الأئمة - علـى حد وصفهـم -، ولـذا كان من أصولهـم التي بنوا عليها تأويلاتهم أن «جل القرآن إنما نزل فيهم [أئمتهم الاثنا

(١) انظر: «بحار الأنوار» (٩٢/ ٧٨-١٠٦).

(٢) «البرهان» (١/ ١٩).

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، توفي سنة (١٢٧هـ) ، قال ابن حبان: «كان سبئيًّا من أصحاب عبد الله بن سبأ. كان يقول: إن عليًّا يرجع إلى الدنيا»، وروى العقيلي بسنده عن زائدة أنه قال: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ، وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه ولا كرامة، قال ابن حجر: ضعيف رافضي (انظر: ميزان الاعتدال: ١/ ٣٧٩-٣٨٠، تقريب التهذيب ١/ ١٢٣، الضعفاء للعقيلي: ١/ ١٩١-١٩٦).

(٤) «تفسير العياشي» (١/ ١١)، «المحاسن» للبرقي (ص٣٠٠)، «البرهان في تفسير القرآن» (١/ ٢٠-٢١)، «تفسير الصافي» (١/ ٢٩)، «بحار الأنوار» (٩٢/ ٩٥)، «وسائل الشيعة» (١٨/ ١٤٢).

(٥) «مرآة الأنوار» لأبي الحسن الشريف (ص٣).

(٦) «أصول الكافي» (٢/ ٦٢٧)، «البرهان» (١/ ٢١).

(٧) جولدسهير: «مذاهب التفسير الإسلامي»: (ص ٣٠٣ - ٣٠٤). وقد ذكرت بعض كتب الشيعة «كتاب التفسير» لجابر الجعفي، انظر: الطوسي: «الفهرست»: ص٧٠، «أعيان الشيعة»: (١/ ١٩٦).

(٨) وهو كذاب عند أهل السنة، أما عند الشيعة فأخبارهم في شأنه متناقضة، لكنهم يحملون أخبار الطعن فيه على التقية ويرجحون توثيقه كعادتهم في توثيق من على مذهبهم وإن كان كاذبًا. انظر: «وسائل الشيعة»: (٢٠/ ٥١).

عشر] وفي أوليائهم وأعدائهم»[1]، مع أنك لو فتشت في كتاب الله وأخذت معك معاجم اللغة العربية كلها وبحثت عن اسم من أسماء هؤلاء فلن تجد لها ذكرًا! ومع ذلك فإن شيخهم البحراني يزعم أن عليًّا وحده ذكر في القرآن ١١٥٤ مرة، ويؤلف في هذا الشأن كتابًا سماه: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية»[2]، وكل عاقل له أدنى صلة بالقرآن يدرك أن هذا القول أشبه بالهذيان، ولكن هؤلاء الباطنيين لا عقل ولا نقل.

وكل آية نزلت في القرآن العظيم يفسرونها بأئمتهم، ومن ينظر في مصادر الإثنى عشرية التي تلقب في عصرنا بالشيعة، والمعتمدة لدى مراجعهم المعاصرين يجد أنهم يفسرون آيات نزلت في القرآن بالأئمة، فقوله سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] يقولون: «النور نور الأئمة»[3]، وفي رواية أخرى عندهم تقول: «النور الأئمة»[4]، وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] يقولون: النور: علي والأئمة - عليهم السلام -[5]. مع أن الدلالة واضحة وجلية على أن المراد بالنور في الآيتين هو القرآن، فكيف لعاقل أن يقبل هذا التأويل الذي لا يربطه بالآية أدنى رابط! وكيف تنسب هذه التأويلات التي هي في حقيقتها إلحاد في آيات الله إلى آل البيت كعلي والحسن أو الحسين أو الباقر أو الصادق وهم أهل العلم واللغة والعقل والدين! وبناءً على هذا التأويل الجاهل الذي أعطوه للآية نفهم أن الأئمة أنزلوا من السماء إنزالًا!

وتمضي تأويلاتهم للآيات التي تتحدث عن القرآن ولو كانت الآية في غاية الدلالة على أن المقصود القرآن، فيروون عن أبي جعفر (محمد الباقر) - رحمه الله وبرأه الله مما يفتري المفترون - في قول الله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥] قالوا: «بدل مكان علي أبو بكر وعمر واتبعناه»[6] (كذا).

ويفسرون قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] بقولهم «يهدي إلى الإمام»[7]، وفي رواية: يهدي إلى الولاية[8].

وتمضي تأويلاتهم أو تحريفاتهم على هذا النسق المظلم، ففي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] قالوا: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: ٨]، يقولون: والله متمّ الإمامة، والإمامة هي النور، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨][9] قال: النور هو الإمام. وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] قالوا: فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: الحسن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: الحسين، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾: إبراهيم عليه السلام، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: يكاد العلم ينفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: إمام منها بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يهدي الله للأئمة من يشاء، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام، ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾: إمام يوم القيامة[10].

تأويل التوحيد والشرك بولاية الأئمة والبراءة منهم:

وكما أوّلوا ما جاء عن القرآن والنور بالإمامة، يؤولون ما جاء في كتاب الله من النهي عن الشرك والكفر، يؤولونه بالشرك في ولاية علي، أو الكفر بولاية علي، ويؤولون ما جاء في عبادة الله وحده واجتناب الطاغوت بولاية الأئمة والبراءة من أعدائهم حتى قالوا: «ما بعث الله نبيًّا قط إلا

(١) «تفسير الصافي»: (١/ ٢٤)، وهذا النص جعله صاحب الصافي عنوانًا للمقدمة الثانية.
(٢) المطبعة العلمية بقم (١٣٩٤هـ).
(٣) «الكافي» للكليني عن أبي جعفر، كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله: (١/ ١٩٤).
(٤) المصدر السابق: (١/ ١٩٥).
(٥) «الكافي» للكليني بإسناده إلى أبي عبد الله (جعفر الصادق) كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله: (١/ ١٩٤).
(٦) «تفسير العياشي»: (٢/ ١٢٠)، وانظر: «أصول الكافي»: (١/ ٤١٩)، و«تفسير البرهان»: (٢/ ١٨٠)، وفي «تفسير نور الثقلين»: (٢/ ٢٩٦)؛ (لو بدل مكان علي أبو بكر أو عمر اتبعناه).
(٧) «الكافي» كتاب الحجة، باب أن القرآن يهدي للإمام: (١/ ٢١٦)، وانظر: «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٨٢ -٣٨٣)، و«البرهان»: (٢/ ٤٠٩)، و«الصافي»: (١/ ٩٦٠).
(٨) المصادر السابقة ما عدا الكافي.
(٩) «الكافي» كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله: (١/ ١٩٦)، وانظر: «تفسير نور الثقلين»: (٥/ ٣١٦)، وفي «تفسير القمي» فسر «النور» بمهديهم المنتظر، عن «تفسير نور الثقلين»: (٥/ ٣١٧).
(١٠) «الكافي» كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم نور الله عز وجل: (١/ ١٩٥)، وانظر: «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ٦٠٤).

بولايتنا والبراءة من عدونا، وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦](١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] قالوا: يعني بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد(٢).

وفي قوله سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] قالوا: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين(٣).

وفي قوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] قالوا: العمل الصالح المعرفة بالأئمة، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: التسليم لعلي لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له ولا هو من أهله(٤)، وفي رواية أُخرى لهم في قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ قالوا: لا يتخذ مع ولاية آل محمد صلوات الله عليهم غيرهم(٥).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١](٦) قالوا: يعني عليًّا(٧).

وفي قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] قالوا: هم أولياء فلان، وفلان، وفلان - يعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - اتخذوهم أئمة من دون الإمام(٨).

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠] قالوا: يعني أئمة دون أئمة الحق(٩).



وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] قالوا: يعني أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي، وأما قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] يعني لمن والى عليًّا عليه السلام(١٠)، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة، وهي محاولة لهدم الأصل الأول في الإسلام وهو التوحيد، وإعطاء الشرك صفة الشرعية، ومحاولة خطيرة لتفسير التوحيد والشرك والكفر بغير معانيها الحقيقية.

تأويل الصلاة بالأئمة والإمامة:

ويؤولون بعض الآيات الواردة في الصلاة بالأئمة والإمامة، ففي قوله سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: الصلاة: رسول الله، وأمير المؤمنين، والحسن والحسين، والوسطى: أمير المؤمنين، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ طائعين للأئمة(١١).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قالوا: تفسيرها: ولا تجهر بولاية علي ولا بما أكرمته بها حتى آمرك بذلك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني ولا تكتمها عليًّا وأعلم ما كرمته به (كذا)(١٢).

وفي رواية أخرى لهم في تفسير الآية بمثل ما مضى وزادوا: فأما قوله: ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] يقول: تسألني أن آذن لك أن تجهر بأمر علي بولايته، فأْذَن له

(١) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٥٨)، «البرهان»: (٢/ ٣٦٨)، «الصافي»: (١/ ٩٢٣)، «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ٥٣).
(٢) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٦١)، «تفسير البرهان»: (٢/ ٣٧٣)، «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ٦٠).
(٣) «تفسير الصافي»: (٢/ ٤٧٢)، وقد نقل هذه الرواية عن القمي شيخ الكليني في تفسيره، وانظر: «أصول الكافي» وانظر: «تفسير نور الثقلين»: (٤٠/ ٤٩٨).
(٤) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٥٣)، «تفسير البرهان»: (٢/ ٤٩٧)، «تفسير الصافي»: (٢/ ٣٦)، «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ٣١٧- ٣١٨).
(٥) «الصافي»: (٢/ ٣٦١).
(٦) الآية كاملة: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١] فالضمير يعود كما هو واضح من السياق يعود إلى القرآن، وهم أرجعوه إلى «علي» وهو غير مذكور أصلًا، والخطاب في الآية لبني إسرائيل.
(٧) «تفسير العياشي»: (١/ ٤٢).
(٨) «تفسير العياشي»: (١/ ٧٢)، «البرهان»: (١/ ١٧٢)، «الصافي»: (١/ ١٥٦)، «تفسير الثقلين»: (١/ ١٥١).
(٩) «تفسير الصافي»: (١/ ٥٧١).
(١٠) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٤٥- ٢٤٦)، «الصافي»: (١/ ٣٦١)، «البرهان»: (١/ ٣٧٥)، «تفسير نور الثقلين»: (١/ ٤٨٨).
(١١) «تفسير العياشي»: (١/ ١٢٨)، وانظر: «تفسير البرهان»: (١/ ٢٣١)، «البحار»: (٧/ ١٥٤).
(١٢) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣١٩)، «تفسير الصافي»: (١/ ٩٩٩)، «تفسير البرهان»: (٢/ ٤٥٢)، «تفسير الثقلين»: (٣/ ٢٣٥).

بإظهار ذلك يوم غدير خم[1].

وقالوا في قوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]: يعني الأئمة[2].

تأويل العمل الصالح بالإمامة:

ومن ذلك تأويلهم لعموم الأعمال الصالحة بالإمامة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] حيث قالوا: العمل الصالح المعرفة بالأئمة.

وكما يؤولون جميع الأعمال الصالحة بالإمامة فإنهم يؤولون أركان الإسلام على سبيل التعيين بالإمامة أيضًا، ففي قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] قالوا: التفث: لقاء الإمام[3]، وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا في البحار (الذي يعدونه المرجع الوحيد لتحقيق المذهب) بعنوان: «باب أنهم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي في بطن القرآن»[4].

تأويل جميع آيات القرآن بالإمامة:

وتمضي تأويلاتهم لتفسر جميع آيات القرآن بالإمامة والأئمة، فجميع ما ورد في كتاب الله عن المؤمنين، وولاة الأمر، وأهل الذكر، وآيات الله الكونية، ومخلوقاته، وآلائه ونعمه، وغيرها، يؤلونها بالأئمة الاثني عشر، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] زعموا أن إمامهم قال: إيانا عنى[5].

وفي قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] قالوا: السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف للإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام[6].

(١) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٢٠)، «تفسير الصافي»: (١/ ٩٩)، «البرهان»: (٢/ ٤٥٢)، «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ٢٣٥- ٢٣٦).

(٢) «تفسير العياشي»: (٢/ ١٢)، «البرهان»: (٢/ ٨)، «البحار»: (٧/ ٦٩)، «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ١٧).

(٣) رواه شيخهم الطوسي في التهذيب، انظر: «الوافي»، أبواب الزيارات وشهود المشاهد (ج ٢/ ١٩٣)، وانظر: «تفسير نور الثقلين»: (٣/ ٤٩٢).

(٤) المجلسي: «البحار»: (٢٤/ ٢٨٦- ٣٠٤).

(٥) «الكافي»، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله ﷺ وآله من الكون مع الأئمة عليهم السلام: (١/ ٢٠٨).

(٦) «الكافي»، كتاب الحجة، باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة عليهم السلام: (١/ ٢١٤).

وتأويلهم لكثير من آيات القرآن بالإمامة والأئمة يربو على الحصر، وكأن القرآن لم ينزل إلا فيهم، بل تأويلهم للآيات بالإمامة والأئمة تجاوز حدود الشرع والعقل، ونزل إلى درك من العته والبله لا تفسير له سوى أنه محاولة للهزء والسخرية بآيات الله، حتى إنهم يقولون:

- الأئمة هم النحل[7] في قوله سبحانه ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، والمجلسي عقد بابًا لذلك بعنوان: «باب نادر في تأويل النحل بهم»[8].

- وهم الحفدة[9] في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

- وعلي هو سبيل الله[10] في قوله سبحانه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣][11].

- وهو الحسرة على الكافرين[12] في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].

- وهو حق اليقين[13] في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١].

- وهو الصراط المستقيم[14] في قوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

- وهو الهدى[15] في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

- والأئمة هم الأيام والشهور، وعقد شيخهم المجلسي بابًا في ذلك بعنوان: «باب تأويل الأيام والشهور بالأئمة عليهم السلام» ضمنه طائفة من رواياتهم[16].

- والأئمة هم بنو إسرائيل[17] في قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [البقرة: ٤٠][18].

- وهم الأسماء الحسنى التي يدعى بها: يروون عن الرضا عليه السلام قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا

(٧) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٦٤)،«البرهان»: (٢/ ٣٧٥)، «الصافي»: (١/ ٩٣١).

(٨) «البحار»: (٢٤/ ١١٠ - ١١٣).

(٩) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٦٤)، «البرهان»: (٢/ ٣٧٦)، «الصافي»: (١/ ٩٣٢).

(١٠) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٦٩)، «البرهان»: (٢/ ٣٨٣)، «البحار»: (٩/ ١١١).

(١١) وفي عدة مواضع أخرى من كتاب الله سبحانه.

(١٢) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٦٩)، «البرهان»: (٢/ ٣٨٣).

(١٣) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٦٩)، «البرهان»: (٢/ ٣٨٣).

(١٤) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٤)، «البرهان»: (١/ ٥٢).

(١٥) «تفسير العياشي»: (١/ ٤٢)، «البرهان»: (١/ ٨٩).

(١٦) «البحار»: (٢٤/ ٢٣٨ - ٢٤٣)، وانظر: الطوسي: «الغيبة»: ١٠٤، والقمي: «الخصال»: (٢/ ٣٢ - ٣٣).

(١٧) «تفسير العياشي»: (١/ ٤٤)، «البرهان»: (١/ ٩٥)، «البحار»: (٧/ ١٧٨).

(١٨) وفي عدة مواضع من كتاب الله.

على الله، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال - راويهم - قال أبو عبد الله: نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل - كذا - من أحد إلا بمعرفتنا، قال: فادعوه بها[(١)].

وقال شيخهم المجلسي: «والأئمة هم الماء المعين والبئر المعطلة والقصر المشيد وتأويل السحاب والمطر والفواكه وسائر المنافع الظاهرة بعلمهم وبركاتهم، ثم أورد طائفة من نصوصهم في ذلك»[(٢)].

وهكذا تمضي تأويلاتهم على هذا النحو الذي يكشف عوراتهم ويفضح إلحادهم.

تأويل الآيات الواردة في الكفار بالصحابة الأخيار:

ومن إلحادهم تأويلهم للآيات الواردة في الكفار والمنافقين بخيار صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم خليفتاه ووزيراه وصهراه وحبيباه أبو بكر وعمر، ويثلثون أحيانًا بصاحب الجود والحياء ومن وضع ماله في سبيل الله وجهز جيش العسرة وغيره: صهر رسول الله ﷺ في ابنتيه عثمان رضي الله عنه، وغيرهم من صحابة رسول الله الأخيار ومن تبعهم بإحسان. ومن ذلك ما يلي:

روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطانًا[(٣)].

قال المجلسي ـ في شرحه للكافي في بيان مراد صاحب الكافي بـ«هما» ـ قال: «هما» أي أبو بكر وعمر، والمراد بفلان عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر، وإنما سمي به لأنه كان شيطانًا إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان، وعلى الأخير يحتمل العكس بأن يكون المراد بفلان أبا بكر[(٤)].

وعن حريز عمن ذكره عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قال: هو الثاني وليس في القرآن ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إلا هو الثاني[(٥)] - يعنون بالثاني عمر رضي الله عنه -.

وعن زرارة عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال: يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقًا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان؟ - يعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم -. قال عالمهم الفيض الكاشاني: «ركوب طبقاتهم كناية عن نصبهم إياهم للخلافة واحدًا بعد واحد»[(٦)].

وعند قوله سبحانه: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢] يروي العياشي عن حنان بن سدير أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: دخل علي أناس من البصرة فسألوني عن طلحة وزبير فقلت لهم: كانا إمامين من أئمة الكفر[(٧)].

ويفسرون الجبت والطاغوت الوارد في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] يفسرونهما بصاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وصهريه وخليفتيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٨)].

ويروون عن أبي جعفر - رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون - في قوله تعالى: ﴿... مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل ابن هشام» فأنزل الله ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[(٩)].

وهذا النص يناقض اعتقادهم بعصمة الأنبياء، لأنه يقتضي صدور الدعوة لعمر من الرسول ﷺ على سبيل الخطأ، أو يثبت عصمة الرسول ﷺ وينسف ما قالوه في سب عمر وتكفيره وأنه غصب الخلافة من علي، وهذا يؤدي إلى هدم مبدأ الإمامة عندهم، وما ندري أي الأمرين يطوح بهم أكثر من الآخر؟

ويروون عن أبي عبد الله أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[(١٠)] قال: «وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان»[(١١)] - أبو بكر وعمر -.

---

(١) «تفسير العياشي»: (٢/ ٤٢)، وانظر: «الصافي»: (١/ ٦٢٦)، «البرهان»: (٢/ ٥١).
(٢) «البحار»: (٢٤/ ١٠٠ - ١١٠).
(٣) «فروع الكافي» (الذي بهامش «مرآة العقول»): المجلد الرابع ص٤١٦.
(٤) «مرآة العقول»: (٤/ ٤١٦).
(٥) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٢٣)، «البرهان»: (٢/ ٣٠٩)، «الصافي»: (١/ ٨٨٥)، «البحار»: (٣/ ٣٧٨)، و«تفسير القمي» (عن «الصافي»): (١/ ٨٨٥).
(٦) «الوافي»، كتاب الحجة، باب ما نزل فيهم عليهم السلام وفي أعدائهم: (١/ ٣١٤).
(٧) «تفسير العياشي»: (٢/ ٧٧ - ٧٨)، «تفسير البرهان»: (٢/ ١٠٧)، «تفسير الصافي»: (١/ ٦٨٥).
(٨) انظر: «تفسير العياشي»: (١/ ٢٤٦)، و«الصافي»: (١/ ٣٦٢)، «البرهان»: (١/ ٣٧٧).
(٩) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩)، «البرهان»: (٢/ ٤٧١)، «البحار»: (٨/ ٢٢)، «الصافي»: (٢/ ١٧).
(١٠) البقرة: الآيتان ١٦٨، ٢٠٨ - الأنعام: آية ١٤٢.
(١١) «تفسير العياشي»: (١/ ١٠٢)، «البرهان»: (١/ ٢٠٨)، «الصافي»: (١/ ٢٠٨).

وعند قوله سبحانه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] روى العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع لأبي سلامة، فهم أبواب لمن اتبعهم»(١).

قال المجلسي في تفسير هذا النص: «الزريق كناية عن أبي بكر لأن العرب تتشاءم بزرقة العين، والحبتر هو عمر، والحبتر هو الثعلب، ولعله إنما كني عنه لحيلته ومكره، وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر؛ إذ الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضًا المراد ذلك، وإنما قدم الثاني؛ لأنه أشقى وأفظ وأغلظ. وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا أبي سلامة، ولا يبعد أن يكون أبو سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل؛ إذ كان اسم جمل عائشة عسكرًا، وروي أنه كان شيطانًا»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] يفترون على أبي جعفر أنه قال فيها: فلان وفلان - أي أبو بكر وعمر - وأبو عبيدة بن الجراح، وفي رواية أخرى لهم افتروها على أبي الحسن تقول: هما وأبو عبيدة بن الجراح (هما: أي أبو بكر وعمر) وفي رواية ثالثة: الأول، والثاني، وأبو عبيدة بن الجراح(٣).

وقوله سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧] يفسرونها بالرواية التالية: عن محمد بن إسماعيل عن رجل سماه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رجل على أبي عبد الله فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فقام على قدميه فقال: مه هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام سماه به، ولم يُسمّ - بالبناء المفعول - به أحد غيره فرضي به إلا كان منكوحًا وإن لم يكن به ابتلي به وهو قول الله في كتابه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ قال قلت: فماذا يدعى به قائمكم؟ قال: يقال له: السلام عليك يا بقية الله، السلام عليكم يا ابن رسول الله(٤). فهذا قذف شنيع لكل حكام المسلمين وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة الراشدون.

ويفترون على أبي عبد الله أنه قال في قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ [النساء: ١٣٧] قال: نزلت في فلان وفلان - أبو بكر وعمر - آمنوا برسول الله ﷺ وآله في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرًا بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق منهم من الإيمان شيء(٥).

وفي قوله سبحانه عن المنافقين: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤] يروي القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام لما أقام رسول الله ﷺ يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة، قال عمر: ألا ترون عينيه كأنها عينا مجنون - يعني النبي - الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي، فلما قام قال: يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله قال: اللهم فاشهد ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه وسلموا عليه بإمرة المؤمنين فنزل جبرائيل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾»(٦).

ويفسرون الفحشاء والمنكر في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] بولاية أبي بكر وعمر وعثمان، فيروون عن أبي جعفر عليه السلام بالإسناد الكاذب أنه قال: وينهى عن الفحشاء: الأول، والمنكر: الثاني، والبغي: الثالث(٧).

---

(١) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٤٣)، «البرهان»: (٢/ ٣٤٥).
(٢) «البحار»: (٤/ ٣٧٨)، (٨/ ٢٢٠).
(٣) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٧٥)، «البرهان»: (١/ ٤١٤).
(٤) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٧٦)، «البرهان»: (١/ ٤١٥)، «البحار»: (٩/ ٦٣٧).
(٥) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٨١)، «الصافي»: (١/ ٤٠٤)، «البرهان»: (١/ ٤٢٢)، «البحار»: (٨/ ٢١٨).
(٦) عن «الصافي»: (١/ ٧١٥).
(٧) «تفسير العياشي»: (٤/ ٢٦٨)، «البرهان»: (٢/ ٣٨١)، «البحار»: (٧/ ١٣٠).

تأويل بعض آيات القرآن بمهديهم المزعوم:

وعلى ضوء عقيدتهم في المهدي يتعسفون في تأويل الآيات فيروي شيخهم الصدوق - عندهم - بسنده عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣]، قال: «من أقر بقيام القائم عليه السلام أنه حق»، وفي رواية: «﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يعني بالقائم عليه السلام وغيبته»[١].

وعن جابر عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣] قال: خروج القائم وأذان دعوته إلى نفسه[٢].

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قال: إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ولا كافر إلا كره خروجه[٣].

وعن صالح بن سعد عن أبي عبد الله في قول الله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قال: قوة القائم والركن الشديد الثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه[٤] (مع أن الآية في لوط عليه السلام مع قومه فجعلوها في قائمهم المنتظر).

والأمثلة على تعسفهم في تفسير آيات من كتاب الله بمهديهم المنتظر كثيرة، حتى ألفوا في هذا كتبًا مستقلة مثل: «ما نزل من القرآن في صاحب الزمان» لعبد العزيز الجلودي[٥]، و«المحجة فيما نزل في القائم الحجة» للسيد هاشم البحراني[٦].

تأويل بعض آيات القرآن بالتقية:

ويمضي القوم في تأويلهم لآيات الله على ضوء عقائدهم وأصول دينهم ويتعسفون في ذلك أيما تعسف، فيحاولون البحث عن آيات يفسرون على ضوئها معتقدهم في التقية ففي تفسير العياشي عن الصادق في قوله سبحانه: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] قال: التقية[٧]، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] قال: هو التقية[٨].

(١) ابن بابويه القمي (الصدوق): «إكمال الدين»: ص١٧.
(٢) «تفسير العياشي»: (٢/ ٧٦)، «تفسير البرهان»: (٢/ ١٠٢).
(٣) «تفسير العياشي»: (٢/ ٨٧)، «الصافي»: (١/ ٦٩٧)، «البرهان»: (٢/ ١٢١).
(٤) «تفسير العياشي»: (٢/ ١٥٧)، وانظر: «البرهان»: (٢/ ٢٣٠)، «البحار»: (٥/ ١٥٨).
(٥) أغابزرك الطهراني: «الذريعة»: (١٩/ ٣٠).
(٦) «فهرس مكتبة آية الله المرعشي» بقم: (٣/ ٢٨٦)، إعداد: أحمد الحسيني.
(٧) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٥١)، «البرهان»: (٢/ ٤٨٦)، «البحار»: (٥/ ١٦٨).
(٨) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٥١)، «البرهان»: (٢/ ٤٨٦)، «البحار»: (٥/ ١٦٨).

وعن المفضل عن الصادق: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ قال: ما استطاعوا له نقبًا إذا عمل بالتقية لم يقدروا في ذلك على حيلة وهو الحصن، وصار بينك وبين أعداء الله سدًّا لا يستطيعون له نقبًا، قال: وسألته عن قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] قال: رفع التقية عند الكشف فينتقم من أعداء الله[٩].

وعن الحسين عن زيد بن علي بن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: لا إيمان لمن لا تقية له، ويقول: قال الله: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]»[١٠].

وعن أبي إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] قال: والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم وأسرارهم فأذاعوها، فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلًا واعتداء ومعصية[١١].

وعن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] اصبروا يعني بذلك عن المعاصي، وصابروا يعني التقية، ورابطوا يعني الأئمة[١٢].

تأويل بعض آيات القرآن بالرجعة:

ولتأييد اعتقادهم في «الرجعة» يؤولون الآيات ويصرفونها عن معانيها؛ فقوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] قالوا: الرجعة[١٣]، فالآخرة يفسرونها في هذه الآية بالرجعة، وهذا التفسير وأمثاله هو عين منطق الباطنيين في القول بإبطال المعاد، ويفسرون قوله سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] بأن هذه الآية ليست في كفار قريش المنكرين للبعث، إنما هي في أعداء الشيعة المنكرين للرجعة! وإليك النص:

(٩) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٥١)، «البرهان»: (٢/ ٤٨٦)، «البحار»: (٥/ ١٦٨).
(١٠) «تفسير العياشي»: (١/ ١٦٦- ١٦٧)، «البرهان»: (١/ ٢٧٥)، «الصافي»: (١/ ٢٥٣)، «الوسائل»: جـ٢ أبواب الأمر بالمعروف باب ٢٣.
(١١) «تفسير العياشي»: (١/ ١٩٦)، «البرهان»: (١/ ٣٠٩)، «الصافي»: (١/ ٢٩٠).
(١٢) «تفسير العياشي»: (١/ ٢١٤)، «البرهان»: (١/ ٣٣٥)، «البحار»: (٧/ ١٣٥).
(١٣) «تفسير العياشي»: (٢/ ٣٠٦)، «البحار» للمجلسي: (١٣/ ١١٦).

«عن أبي عبد الله في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ قال: ما يقولون فيها؟ [أي ما يقول أئمة السنة في تفسيرها] قلت: يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى قال: تبًّا لمن قال هذا، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى؟ قلت: جعلت فداك فأوجدنيه أعرفه قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قومًا من شيعتنا قبابع[1] سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوم من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم فيبلغ ذلك قومًا من أعدائنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم، هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها فحكى الله قولهم[2] فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾».

هذه أمثلة لتأويلاتهم للقرآن، وتعسفهم في فهم آياته، وهو كما يرى القارئ تفسير باطني لا تربطه بالآية أدنى صلة، وكأن القرآن لم ينزل بلسان عربي مبين، ولم يجعله الله سبحانه هداية ودستورًا لخلقه أجمعين!

وبعد عرض أمثلة لتأويلاتهم الباطنية لا بد من الإشارة إلى أن هذه التأويلات الكاشفة والفاضحة لحقيقة هذه النحلة لم يقف عليها أئمة الإسلام المتقدمون؛ إما لعدم اهتمامهم بمثل هذه الأباطيل الصادرة من أناس مطيتهم الكذب حاولوا نسبة ضلالاتهم وأكاذيبهم إلى بعض أئمة أهل البيت علها تجد قبولاً لدى الأغرار والجهلة، أو لأنها كانت موضع التداول السري، ومن وقف على بعضها لم ينسبها للإثنى عشرية، وإنما ظن أنها من تأويلات الباطنية القرامطة، ويكفي أن تعرف أن شيخ الإسلام ابن تيمية مع سعة معرفته وإحاطته بهذه المذاهب نسبها إلى الباطنية، حيث قال: «من ادعى علمًا باطنًا، أو علمًا بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئًا، إما ملحدًا زنديقًا، وإما جاهلًا ضالًا... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم»، ثم ذكر أمثلة لذلك، فقال: «وهؤلاء الباطنية قد يفسرون: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] أنه علي، وقوله: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٢] أنهم طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٦٠] بأنها بنو أمية»[3].

ولكن لما خرجت كتب الإثنى عشرية، وفضحتهم مطابعهم تبين أن هذه التأويلات التي ينقلها ابن تيمية وينسبها للباطنية موجودة بعينها عند الإثنى عشرية، فالتأويل المذكور للآية الأولى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ جاء عند الإثنى عشرية في خمس روايات أو أكثر[4]، وسجل في طائفة من كتبهم المعتمدة[5]، وليس في الآية أية دلالة على هذا التأويل[6]. وكذلك الآية الثانية: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ورد تأويلها بذلك في طائفة من كتبهم المعتمدة[7]. وبلغت رواياتها عندهم أكثر من ثمان روايات[8]. ومثلها الآية الثالثة: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ جاء تأويلها عند الإثنى عشرية بما قاله شيخ الإسلام في أكثر من اثنتي عشرة رواية[9]، وتناقل هذا التأويل مجموعة من مصادرهم المعتمدة[10]، مما يثبت أن الإثنى عشرية غارقة في الباطنية، ولكنها تجيد العمل بالتقية، وتمثل الوجه الدعائي والعلني أمام عموم المسلمين، ولذا انخدع بعضهم بظاهر كلامهم، وجهلَ حقيقتهم.

وهذه المصادر هي عمدة لدى الشيعة المعاصرين، ولذلك لا يختلف رأي المعاصرين عن الأقدمين في هذا التأويل الباطني البعيد عن روح القرآن ومقاصده وألفاظه ومعانيه، ولذا فإن شيخهم ومرجعهم المعاصر الخوئي يذهب إلى توثيق أسانيد القمي في تفسيره، ويحكم بصحة أحاديثه[11]، وتفسير القمي قد بلغ الغاية في التأويلات الباطنية لآيات القرآن، وليس ذلك فحسب، بل إنه ذهب إلى حمل ما ورد من طرقهم من روايات تقول إن الصحابة حرفوا كتاب الله على أن المراد بها أن الصحابة قد فسروا آيات القرآن على غير معانيها الحقيقية[12].

---

(١) قبعة السيف: ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد، «القاموس»: مادة قبع.
(٢) «تفسير العياشي»: (٢/ ٢٥٩)، «البرهان»: (٢/ ٣٦٨)، «البحار»: (١٣/ ٢٢٣).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٤) انظر: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية» هاشم البحراني (ص٣٢١-٣٢٣).
(٥) انظر من ذلك: «تفسير القمي» (٢/ ٢١٢)، «معاني الأخبار» لابن بابويه (ص٩٥)، «تفسير البرهان» (٤/ ٦-٧)، «تفسير الصافي» (٤/ ٢٤٧)، «تفسير شبر» (ص٤١٦).
(٦) قال السلف في تفسير الآية: إن الإمام المبين ها هنا هو أم الكتاب، أي: وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ. (انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٩١).
(٧) انظر: «البرهان» (٢/ ١٠٦، ١٠٧)، «تفسير الصافي» (٢/ ٣٢٤)، «تفسير العياشي» (٢/ ٧٧-٧٨)، وانظر: «تفسير القمي» (١/ ٢٨٣).
(٨) راجع المصادر السابقة.
(٩) انظر: «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).
(١٠) انظر: «تفسير القمي» (٢/ ٢١)، «تفسير العياشي» (٢/ ٢٩٧)، «تفسير الصافي» (٣/ ١٩٩-٢٠٢)، «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥)، «تفسير شبر» (ص٢٨٤)، وانظر: «مقتبس الأثر» (دائرة المعارف الشيعية) (٢٠/ ٢١).
(١١) «معجم رجال الحديث» (١/ ٦٣).
(١٢) انظر للتفصيل: «أصول مذهب الشيعة» (باب: الشيعة المعاصرون وصلتهم بأسلافهم) (٣/ ٩٦٣)، «مسألة التقريب» (٢/ ٣٨).